@ 454 @ استثناؤه . .

وأخذ الزمخشري هذا القول فقال : وقال : إلا ما شاء ا ، والغرض نفي النسيان رأساً ، كما يقول الرجل لصاحبه : أنت سهيمي فيما أملك إلا ما شاء ا ، ولا يقصد استثناء شيء ، وهو من استعمال القلة في معنى النفي ، انتهى . وقول الفراء والزمخشري يجعل الاستثناء كلا استثناء ، وهذا لا ينبغي أن يكون في كلام ا تعالى ، بل ولا في كلام فصيح . وكذلك القول بأن لا في { فَلاَ تَنسَى } للنهي ، والألف ثابتة لأجل الفاصلة ، وهذا قول ضعيف . ومفهوم الآية في غاية الظهور ، وقد تعسفوا في فهمها . والمعنى أنه تعالى أخبر أنه سيقرئه ، وأنه لا ينسى إلا ما شاء ا ، فإنه ينساه إما النسخ ، وإما أن يسن ، وإما على أن يتذكر . وهو صلى ا عليه وسلم) معصوم من النسيان فيما أمر بتبليغه ، فإن وقع نسيان ، فيكون على وجه من الوجوه الثلاثة . .

ومناسبة { سَنُقْرِئُكَ } لما قبله : أنه لما أمره تعالى بالتسبيح ، وكان التسبيح لا يتم إلا بقراءة ما أنزل عليه من القرآن ، وكان يتذكر في نفسه مخافة أن ينسى ، فأزال عنه ذلك وبشره بأنه تعالى يقرئه وأنه لا ينسى ، استثنى ما شاء ا أن ينسيه لمصلحة من تلك الوجوه . { إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ } : أي جهرك بالقرآن ، { وَمَا يَخْفَى } : أي في نفسك من خوف التفلت ، وقد كفاك ذلك بكونه تكفل بإقرائك إياه وإخباره أنك لا تنسى إلا ما استثناه ، وتضمن ذلك إحاطة علمه بالأشياء . { وَنُيَسّرُكَ } معطوف على { سَنُقْرِئُكَ } ، وما بينهما من الجملة المؤكدة اعتراض ، أي يوفقك للطريقة التي هي أيسر وأسهل ، يعني في حفظ الوحي . وقيل : للشريعة الحنيفية السهلة . وقيل : يذهب بك إلى الأمور الحسنة في أمر دنياك وآخرتك من النصر وعلو المنزلة والرفعة في الجنة . ولما أخبر أنه يقرئه وييسره ، أمره بالتذكير ، إذ ثمرة الإقراء هي انتفاعه في ذاته وانتفاع من أرسل إليهم . والظاهر أن الأمر بالتذكير مشروط بنفع الذكرى ، وهذا الشرط إنما جيء به توبيخاً لقريش ، أي { إِن نَّفَعَتِ الذّكْرَى } في هؤلاء الطغاة العتاه ، ومعناه استبعاد انتفاعهم بالذكرى ، فهو كما قال الشاعر : % (لقد أسمعت لو ناديت حيا % .

ولكن لا حياة لمن تنادي .

) % .

.

كما تقول : قل لفلان وأعد له إن سمعك ؛ فقوله : إن سمعك إنما هو توبيخ وإعلام أنه لن

يسمع . وقال الفراء والنحاس والزهراوي والجرجاني معناه : وإن لم ينفع فاقتصر على القسم الواحد لدلالته على الثاني . وقيل : إن بمعنى إذ ، كقوله : { وَأَنتُمُ الاْعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } : أي إذ كنتم ؛ لأنه لم يخبر بكونهم الأعلون إلا بعد إيمانهم . { سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى } : أي لا يتذكر بذكراك إلا من يخاف ، فإن الخوف حامل على النظر في الذي ينجيه مما يخافه ، فإذا نظر فأداه النظر والتذكر إلى الحق ، وهؤلاء هم العلماء والمؤمنون كل على قدر ما وفق له . { وَيَتَجَنَّبُهَا } : أي الذي ، { الاْشْقَى } : أي المبالغ في الشقاوة ، لأن الكافر بالرسول صلى ا عليه وسلم) هو أشقى الكفار ، كما أن المؤمن به وبما جاء به هو أفضل ممن آمن برسول قبله . ثم وصفه بما يؤول إليه حاله في الآخرة ، وهو صلي النار ووصفها بالكبرى . قال الحسن : النار الكبرى : نار الآخرة ، والصغرى : نار الدنيا . وقال الفراء : الكبرى : السفلى من أطباق النار . وقيل : نار الآخرة تتفاضل ، ففيها شيء أكبر من شيء . { ثُمَّ لاَ يَمُوتُ } : فيستريح ، { وَلاَ * يُحْىِ } حياة هنيئة ؛ وجيء بثم المقتضية للتراخي إيذاناً بتفاوت مراتب الشدة ، لأن التردد بين الحياة والموت أشد وأفظع من الصلى بالنار . .

{ قَدْ أَفْلَحَ } : أي فاز وظفر بالبغية ، { مَن تَزَكَّى } : تطهر . قال ابن عباس : من الشرك ، وقال : لا إله إلا ا . وقال الحسن : من كان عمله زاكياً . وقال أبو الأحوص وقتادة وجماعة : من رضخ من ماله وزكاه . { وَذَكَرَ اسْمَ رَبّهِ } : أي وحده ، لم يقرنه بشيء من الأنداد ، { فَصَلَّى } : أي أتى الصلاة المفروضة وما أمكنه من النوافل ، والمعنى : أنه لما تذكر آمن با ، ثم أخبر عنه تعالى أنه أفلح من أتى بهاتين العبادتين الصلاة والزكاة ، واحتج بقوله : { وَذَكَرَ اسْمَ رَبّهِ } على وجوب تكبيرة الافتتاح ، وعلى أنه جائز بكل اسم من أسمائه تعالى ، وأنها ليست من الصلاة ، لأن الصلاة معطوفة على الذكر الذي هو تكبيرة الافتتاح ، وهو احتجاج ضعيف . وقال ابن عباس : { وَذَكَرَ اسْمَ رَبّهِ } : أي معاده وموقفه بين يدي ربه ،